النظر مقوى ذكاء القلب يقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو
قريحته. وقال أبو العواذل زكريا بن هرون قال لي بشار لي اثنا عشر ألف قصيدة أما في
كل قصيدة بيت جيد وحكي عنه انه قال هجوت جريرا فاعرض عني واستصغرني ولو هجاني لكنت
اشعر الناس وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمم ويصوب رأي ابليس في تقديم
النار على الطين وقد ذكرت في شعره حيث يقول:

الأرض مظلمة والنار مشرقة ** والنار معبودة مذ كانت النار

ومن شعره ايضا:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ** والأذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم ** الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

رأيت في بعض الكتب ان عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من الاولاد المجوس شابا
متطبب يدعي تحقيق الكلام فاظهر مسئلة تحقيق النفث بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف
منتن في حال الحيوة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب في زيادة نتنه وان الواجب
احراقه واذري رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة المجوسي فكتب
الفقيه الى عبد الله بن طاهر فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرني عن صبي
تنازعته أمه وحاضنته أيهما اولى به فقال الامام ان هذه الأرض هي الأم وهي أولى
بأولادها أن ترد اليها وانشد لأمية بن أبي الصلت:

والأرض معقلنا وكانت أمنا ** فيها مقابرنا ومنها نولد

فافحم المجوسي وقطعه وكان الاصمعي يقول بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت
لفضلته على كثير منهم. ولقي ابو عمرو بن العلاء بعض الرواة فقال له يا ابا عمرو من ابدع
الناس بيتا فقال الذي يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ** ونفى عني الكرى طيف ألم
روحي عني قليلا واعلمي ** انني يا عبد من لحم ودم

قال فمن امدح الناس قال الذي يقول:

لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ** ولم ادر ان الجود من كفه يعدي
فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى ** افدت وأعداني فانفقت ما عندي

قال فمن اهجى الناس قال الذي يقول:

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما ** على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله ** كما جاد بالوجعا سهيل بن سالم

قال ويحك هذه الابيات كلها لبشار وقال محمد بن الحجاج قلت لبشار أني أنشدت
فلانا قولك:

اذا كنت في كل الأمور معاتبا ** صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا او صل اخاك فانه ** مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ** ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

فقال

فقال ما كنت اظنه الا رجل كبير فقال لي بشار ويلك افلا قلت له هو والله اكبر الانس والجن
حدث الاصمعي قال قلت لبشار يا ابا معاذ الناس يعجبون من ابياتك في المشورة قال يا ابا
سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته او خطأ يشارك في مكروهه قلت له انت والله
في قولك اشعر منك في شعرك وكان بشار جالسا في دار المهدي والناس ينتظرون الاذن
فقال بعض موالي المهدي لمن حضر ما عندكم في قول الله عز وجل واوحى ربك الى النحل ان
اتخذي من الجبال بيوتا فقال له بشار النحل التي تعرفها الناس فقال هيهات يا ابا معاذ
النحل بنو هاشم وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس يعني العلم
فقال له بشار اراني الله طعامك وشرابك وشفاك مما يخرج من بطون بني هاشم فقد
اوسعت غثاثة فغضب وشتم بشارا وبلغ المهدي الخبر فدعا بهما وسألهما عن القصة
فحدثه بشار بها فضحك حتى امسك على بطنه ثم قال للرجل اجل فجعل الله طعامك وشرابك
مما يخرج من بطون بني هاشم فانك بارد غث قال دخل ابراهيم بن يزيد الحميري على المهدي
وبشار بين يديه ينشد قصيدة امتدحه بها فلما فرغ منها اقبل عليه يزيد بن منصور وكان
فيه غفلة فقال يا شيخ ما صناعتك قال اثقب اللؤلؤ فضحك المهدي ثم قال لبشار اتتنادر
على خالي فقال وما اصنع به يرى شيخا اعمى ينشد الخليفة شعرا يسأله عن صناعته ووقف
على بشار بعض المجان وهو ينشد الخليفة شعرا ابسكة فقال له استر شعرك كما تستر وجهك
فصفق بشار بيديه وغضب وقال له ويلك من انت فقال انا اعزك الله رجل من باهلة
واخوالي سلول واصهاري عك واسمي كلب ومولدي باضاح ومنزلي بنهر بلال فضحك
بشار وقال اذهب ويلك فانت عتيق لؤمك قد علم الله انك استترت مني بحصون من
حديد ومر بشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقول الحمد لله شكرا فقال له استزده يزدك
ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها فقال ما لهم مسرعين اتراهم سرقوها فهم
يخافون ان يلحقوا فتؤخذ منهم وقال رجل من اهل البصرة ممن كان يتزوج النهاريات قال
تزوجت امرأة منهم فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا او كنا في سفل وبشار يعلونا
فنهق حماره في الطريق فاجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجت الناحية بنهيقها
وضرب الحمار الذي في الدار برجله ضربا شديدا فسمعت بشار للمرأة نفخ يعلم الله في الصور
وقامت القيامة اما تسمعين كيف يدق على اهل القبور حتى يخرجوا منها قال ولم تلبث ان فزعت
شاة وكانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فالقت طبقا فيه غضارة الى الدار وتطاير حمام
ودجاج كان في الدار لصوت الغضارة وبكى صغير في الدار فقال بشار صح الخبر يعلم الله ازفة
الآزفة وزلزلت الارض فعجبت من كلامه وغاظني فسألت من المتكلم فقيل بشار فقلت قد
علمت لا يتكلم بهذا غيره وتوفي ابن لبشار فجزع عليه فقيل له اجر قدمته وفرط قدمته وذخر
احرزته فقال ولد دفنته وثكل تعجلته وغيب وعدته فانتظرته والله لئن لم اجزع
للنقص لم افرح بالمزيد وقال يرثيه من ابيات عجبت لاسراع المنية نحوه وما كان لو
مليته بعجيب قيل رفع غلام بشار اليه في حساب نفقة جلاء مرآة عشرة دراهم فصاح
به بشار وقال والله ما سمع باعجب من هذا جلاء مرآة اعمى عشرة دراهم والله لو صديت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)